[304] إلى يوم الدين لأنه لما نزل قوله تعالى * (فأتوا بسورة من مثله) * قال كل فصيح من الفصحاء: ما بال هذا الكلام لا يؤتى بمثله فلما تأمله تبين له ما تبين وصح عنده لا قدرة له على مثله وأنه من ا العزيز العليم فمنهم من آمن ومنهم من أبي حسدا، وقامت بهم الحجة على أهل العالم لأنهم كانوا من أرباب الفصاحة فإذا عجزوا فغيرهم أعجز وإلا فليأتوا بسورة من مثله، وذهب الأشعري إلى أن إعجازه بالصرفة (1) ومعناها أن الفصحاء كانوا قادرين على الإتيان بمثله إلا أن ا سبحانه صرف الهمة عنهم، وهو بهذا الوجه أيضا وإن كان آية من آيات الرسالة إلا أنه تحكم محض وقول بلا حجة، والوجه هو الأول. وله مع ذلك فضل على غيره من المعجزات لأن كل معجزة غيره لانقراضها لم يشاهد وجه إعجازها إلا من حضرها وهو باق إلى قيام الساعة ففي كل زمان يحدث من يشاهد وجه إعجازه ويتجدد إيمانه ولأن فائدة غيره إنما هي إثبات الرسالة فقط، وفائدته إثباتها مع اشتماله على علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وما يكون، وعلم ما جاء به الرسول (صلى ا عليه وآله) من الوعد والوعيد والمواعظ والنصايح وجميع ما يحتاج إليه الامة إلى يوم القيامة. (قال: فقال ابن السكيت: با ما رأيت مثلك قط) با بدون ألف قبل الجلالة على ما هو المصحح من النسخ ولفظه " باء " تحتمل وجهين: الأول أن يكون باء القسم أو تاؤه، والثاني أن يكون حرف النداء للتعجب ولما وقف ابن السكيت على سبب اختصاص كل نبي بإعجاز مخصوص من كلام معدن الرسالة مدحه بقوله " ما رأيت مثلك قط " يعني في العلوم وحضور الجواب، مصدرا بالقسم ترويجا للمدح وتنبيها على أنه من صميم القلب لا من باب الإطراء وظاهر اللسان كما هو شأن أكثر المادحين، أو بكلمة التعجب إشعارا بأن تفوقه (عليه السلام) على غيره بلغ حدا يعجز العقول عن الوصول إليه وعن إدراك كميته وسببه، ويحتمل أن يقرء يا ا بالاف وهو حينئذ للتعجب مثل لا إله إله ا وسبحان ا فان هذه الكلمات الشريفة كثيرا ما تستعمل للتعجب وفيه جواز مدح الرجل مواجهة بالفضايل الموجودة فيه ولكن

_____ 1 - ولا ريب أن التعمق في البحث عن وجه إعجاز القرآن وسوسة فإنه إذا ثبت أن أحدا لم يأت بمثله من صدر الإسلام إلى الآن فهو معجز قامت به الحجة سواء كان سببه فصاحته أو اشتماله على الدقائق والنكات التي تقصر عن فهمها أذهان العرب أو احتوائه على الاخبار الغيبية أو الصرفة التي يقول بها السيد المرتضى - رحمه ا تعالى - أو لغير ذلك فإن توجيه الذهن إلى ذلك يوجب صرف الفكر عن نفس الاعجاز وهذا كما نعلم أن سحرة فرعون عجزوا عن معارضة موسى (عليه السلام) ولا نعلم أنه كان

لنقصانهم علما أو لتصرفه أو لأن طبيعة عملهم غير طبيعة عمل موسى (عليه السلام) ونعلم بالاجمال أنهم عجزوا، وإجراء خوارق العادات من الله تعالى على يد الكاذب قبيح على الله تعالى وإلا لا يعرف أكثر الناس حقيقة السحر بل يزعمون أنه مغير للحقائق كالمعجزة كما قال فرعون * (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) * (ش). (*)